رسالة من الفقيه الحاج أحمد سكيرج رحمه ا ورضي عنه للمقدم البركة مولاي محمد العنابي(1)

حفظ الله بمنه محبنا في الله، الحاضر في قلبنا، وإن غاب شخصه عن أعيننا، البركة الأجل، الفقيه الأمثل، العارف بربه الشريف المنيف سيدي ومولاي محمد العنابي، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وتحياته وزكواته عن مدد سيدنا رضي الله عنه، وسر الواسطة العظمى(2) عليه السلام. وبعد فقد تشرفت بكتابك، ولذيذ خطابك أولا وثانيا وثالثا معلما بوصولك للمشرية، ومخبرا بما لديكم من الأشواق وصدق المحبة، ولا شك أن ذلك من أثر ما لدينا من ذلك.

فنحن إليكم مشتاقون، ولكم محبون، والله شهيد على ذلك، ونرجو من المولى أن ينفع بعضنا ببعض، ويأخذ بيد الجميع أخذ الكرام، ولقد كنا شافهناك بما لا يمكن أن يكتب في قرطاس، وأكدنا عليك بالثبات على الحالة التي أنت عليها باطمئنان قلب، مع تعلقك بالله فيما تحاوله وتتناوله، فاعلا الواسطة الأعظم سيدنا رضي الله عنه وسيلة للحجاب الأعظم عليه السلام في الأخذ بيدك، فإنك تجد بحول الله المقصود، وإن استحضار صورة الحبيب المحبوب (ﷺ) بالشوق التام والتلهف على رؤياه لموجب للحصول على المقصود، فلا تشغل نفسك بالتحسر على ما لم تحصله من المطالب التي تشغلك عن الله. وإن كانت في الظاهر من قبيل العبادة، فإن النفس لها ولوع بما فيه هلاكها، وإنك لعلى هدى ما دمت موفيا بالفرائض في أوقاتها، فاغتنم الوقت بأداء ما أنت مطلوب به فيه، ولا تهتم بالأخذ بيد الغير والإنفاق عليه، فإن التشوف لهذا الأمر حجاب وأي حجاب، فبالله لا يزال صاحبه واقفا بالباب، يدخل على يده الأحباب، وهو لم يعرف ما بداخل القباب، فالله الله أخي فيمن هذه حالته، فهو مثلي حظه الشهرة ولا طائل تحته، ولا فائدة عنده، يظن الناس به خيرا وهو على جانب كبير من الخطايا، فلو لم يتداركني المولى بالتوبة بل بالرحمة، بل بقولي لا إله إلا الله لهلكت، وعسى أن ينفعنا المولى بالإلتجاء لهذه الحضرة والتعلق بالجناب المحمدي، جعلني الله وإياكم من خاصة الخاصة عنده، وما ذلك على الله بعزيز.

---

(1) الفقيه البركة سيدي محمد بن أحمد بن العارف بربه سيدي بلقاسم العنابي التونسي كانت له بالعلامة سكيرج صداقة وطيدة متينة، وبينهما رسائل وأجوبة كثيرة.

(2) المقصود بالواسطة العظمى في هذه الرسالة هو العارف با الولي الصالح سيدي بلقاسم العنابي رضي ا تعالى عنه، وذلك لأن سيدنا الشيخ رضي ا عنه اتخذه واسطة بينه وبين النبي صلى ا عليه وسلم، بعد وفاة الواسطة المعظم سيدي محمد بن العربي الدمراوي، وذلك في عرض بعض المطالب والأسئلة والاستفسارات الوقتية، ويعود هذا لكون الشيخ التجاني رضي ا عنه عند ملاقاته للنبي صلى ا عليه وسلم يقظة لا يستطيع أن يطلب منه شيئا مشافهة، لشدة الحياء من جهة، ولاستغراقه في محاسن الجمال النبوي من جهة آخرى. وبقي الشريف البركة سيدي بلقاسم العنابي رضي ا عنه في هذه المكانة العظيمة المشرفة مدة ستة أشهر، ثم بعد ذلك أشار النبي (ﷺ) للشيخ أبي العباس التجاني رضي ا عنه باستبداله بمؤلف جواهر المعاني، الخليفة الحاج علي حرازم برادة الفاسي، انظر رفع النقاب للعلامة سكيرج، ج 1 ص 238.

ولقد كنت أخبرتك أيها الأخ بما أنا عليه بوجه الحق، فلا تغرنك شقشقة لساني، ولكن ربما تجد نفعا بطي العبارة، وينفعنا الله بك كما انتفع المريد الذي لقنه شيخه الكذاب بأن يواظب على يا بصل، فانتخب بدلا(3) في مجمع الديوان لصدق نيته، وقد نصحتك والله إن وقفت مع ما أمرك الحق به ولازمت صلاة الفاتح لما أغلق، فهي أولى من كل ذكر إلا ما كان من ذكر لا إله إلا الله، فلازم هذين الذكرين ولا تلتفت لغيرهما، إلا ما كان من الذكر العزيز والتدبر عند تلاوته، والذي أؤكد به عليك عدم الإلتفات لاستخدام الغير من إنسي أو جني في مصالح نفسك، واتخذ لك حرفة تنفق من مدخولها، ولا تكن عالة على الناس فإن الناس يملون، وكثير من يأكل منهم دنياهم بدنيه، فيكون هو وعمله في ميزانهم، وعملهم معلول مردود غير مقبول منهم، فيخسر الآكل منهم الدنيا والدين، مع أن القليل من الدنيا يكفي.

والنفس إن رغبتها تبغي الغنا ومتى ترد إلى قليل تقنع

ونسأل الله أن يغنينا وإياكم به عمن سواه، وأن لا يخرجنا من الدنيا حتى يذيقنا حلاوة المعرفة بالله، إنه على ذلك قدير، أما ما ذكرته لنا من صدق المحبة في جانبنا، فذلك أعده من نعم الله علي إذ أنعم علي بمن يحبنا لله، لا جعله الله آخر عهد بكم، ونحن على ما تعاهده منا، غير أن قيامك بذلك الوطن المبارك على ساق الجد في طاعة المولى والأخذ بيد المريدين والإخوان عائد بالنفع عليك وعليهم في الدارين، فلا تخرج عن وطنك حتى يحصل لك إذن خاص من أحد الخواص، واستفت قلبك في أمرك كله، ولا تحقرن أحدا من خلق الله في محلك أو محله، ولا تخرج عن طريقتك الأحمدية بالتعلق، فأهل الفتح الصادقون لا يقبلون ناقض عهد شيخه، ولا تلتفت لخواص الأذكار والأسماء فهي حجب مانعة من الوصول إلى الحضرة العلية، فاجتهد أن تكون عبدا مخلصا في العبادة والعبودية، ولا تصدق نفسك إن حدثتك بأنها مخلصة، فالمخلص دائما متهم لنفسه، ولذلك ما قطع أكباد العارفين بالله إلا الخوف من الموت على سوء الخاتمة عياذا بالله، لأنهم لا يأمنون المكر.

ثم إني أؤكد عليك بحسن الظن في الله، فإن الله يمنح العبد على قدر ما نواه فيه، ولذلك قال في الحديث القدسي : أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء، وأما ما ذكرته لنا من أنك متشوف للرجوع إلينا فمرحبا وأهلا وسهلا، ولكن سر الحب مع البعد المكاني، والقرب القلبي أنجح في نيل المقاصد لحجب الشخص وستر بشريته وظهور المزية الروحية فيه، وذلك لا يخفى عن مثلك، وإن كنت أتحقق منك الحب الصادق في حالتي القرب والبعد، ولا بعد في الحقيقة بين القلبين، ماداما متفقين في المشرب بلامين، والله يؤيدنا وإياكم بروح منه، وأما ما يتعلق بما سألت عنه مما يرجع لسورة الإخلاص بعددها الخاص، فقد فاتني أن أذكر لك أن ذلك العدد يكون

---

(3) بدل : جمع أبدال، إحدى طبقات الأولياء في النظام الصوفي، ويرى بعض العلماء أن نظام العالم مكاف بحفظه عدد معين من الأولياء، إذا مات واحد منهم حل محله بدل أو بديل. ويفسر بعضهم البدل بأنه الشخص الذي له قدرة على أن يخلف بعده شخصا روحانيا عندما يترك مكانه، أو الشخص الذي له القدرة على التحول الروحاني. وقد اختلف القوم في عددهم، وأكثر الأقوال على أنهم سبعة.

صباحا ومساء كالورد اللازم، وبتقييد الصباح والمساء تعرف المقصود، وفيه غنية عن بسط الجواب عن تلك الأسئلة، وذلك لمن رام الحصول على المقام الذي هو منوط بها، ولكن ينبغي لمن لا يقدر على القيام بذلك العدد أن لا يحرم نفسه ولو بتجزئته على الأيام، وبيد الله التوفيق، مسلما على سيادة المقدم وكل من يسأل عنا، وبالله عليك إلا ما دعوت الله لنا طبق ما عاهدتنا عليه، ونحن على العهد نرعى الذمام، وعلى المحبة والسلام، وكتبه عن عجل خديم الحضرة التجانية عبد ربه ورهين كسبه، أحمد سكيرج أمنه الله بمنه(4).

(4) يتبين من خلال طيات هذه الرسالة جزء من الدور الفعال الذي كان يبذله العلامة سكيرج في سبيل توجيه إخوانه من مريدي الطريقة الأحمدية التجانية، سواء بالمغرب أو بخارجه، حيث كان رحمه ا يسدي إليهم النصيحة، ويحثهم على التشبث بمكارم الأخلاق والصفات الحميدة، مع الظهور بالمظهر اللائق المناسب للشخصية الصوفية المتشبعة بروح التفاني والإخلاص، كما كان يوصيهم بالتمسك بالكتاب والسنة الصحيحة، لأنهما معا العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن حاد عنهما إلى غيرهما فهو على شفا حفرة من نار، ولا ينقذه منها إلا الرجوع الكامل التام لكتاب ا وسنة رسوله صلى ا عليه وسلم.

من هذا المنطق كان العلامة سكيرج لا يتوانى في الإجابة على جميع الرسائل التي كانت تصله يوميا من دول مختلفة، كالسودان والسنغال ومصر والجزائر وغيرها من الدول الأخرى، وكانت إجاباته رحمه ا شافية كافية، وهذا شيء ملموس من خلال تناوله الدقيق لجميع فتاويهم وأسئلتهم المطروحة ولم تكن عنايته بهذه الأجوبة من باب الصدفة، بل كان هدفها إيصال الكلمة الصحيحة المبنية على الحق، ونبذ الأقاويل الباطلة المسمومة التي كان يدسها أعداء الدين بين الناس، خاصة ضعفة العقول منهم.